

أمل ونقل

لَا تَصَالِحُ!

(1)

لَا تَصَالِحُ!
وَلَوْ مَنَحُوكَ الذَّهَبُ
أَتَرَى حِينَ أَفْقًا عَيْنِكَ
ثُمَّ أَثْبَتُ جَوْهَرَتَيْنِ مَكَانَهُمَا..
هَلْ تَرَى..؟
هِيَ أَشْيَاءٌ لَا تُشْتَرَى..
ذِكْرِيَّاتُ الطُّفُولَةِ بَيْنَ أَخِيكَ وَبَيْنِكَ،
حِسْكَمَا - فِجَاءَةً - بِالرُّجُولَةِ،
هَذَا الْحَيَاءُ الَّذِي يُكْبِتُ الشَّوْقَ.. حِينَ تُعَانِقُهُ،
الصَّمْتُ - مُبْتَسِمِينَ - لِتَأْنِيبِ أُمَّكَ..
وَكَاثَمًا
مَا تَرَالانِ طِفْلَيْنِ!
تِلْكَ الطُّمَأْنِينَةُ الْأَبَدِيَّةُ بَيْنَكُمَا:
أَنَّ سَيِّفَانِ سَيِّفِكَ..
صَوْتَانِ صَوْتِكَ

أَتَاكَ إِنْ مِتَّ:

لِلبَيْتِ رَبِّ

وَلِلطُّفْلِ أَبِّ

هَلْ يَصِيرُ دَمِي -بَيْنَ عَيْنَيْكَ- مَاءً؟

أَتَنْسَى رِدَائِي الْمَلَطَّخَ بِالدَّمَاءِ..

تَلْبَسُ -فَوْقَ دِمَائِي- ثِيَابًا مُطَّرَزَةً بِالْقَصَبِ؟

إِنَّهَا الْحَزْبُ!

قَدْ تُثْقِلُ الْقَلْبَ..

لَكِنْ خَلَقَكَ عَارُ الْعَرَبِ

لَا تَصَاحُ..

وَلَا تَتَوَخَّ الْهَرَبُ!

(2)

لَا تَصَاحُ عَلَى الدَّمِ.. حَتَّى يَدَمِ!

لَا تَصَاحُ! وَلَوْ قِيلَ رَأْسُ بِرَأْسِ

أَكُلُ الرُّؤُوسِ سِوَاءً؟

أَقَلْبُ الْعَرِيبِ كَقَلْبِ أَخِيكَ؟!

أَعَيْنَاهُ عَيْنًا أَخِيكَ؟!

وَهَلْ تَنْسَاوِي يَدًا.. سَيُفْهَمُ كَانَ لَكَ

بِيَدِ سَيُفْهَمُ أَثْمَلُكَ؟

سَيُفْهَمُونَ:

جُنَّتْكَ كَيْ تَحْتُنَ الدَّمَّ..
 جُنَّتْكَ. كُنْ يَا أَمِيرُ- الْحَكَمِ
 سَيَقُولُونَ:

هَذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ عَمِّ.
 قُلْ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لَمْ يَرَاعُوا الْعُمُومَةَ فِيمَنْ هَلِكَ
 وَأَعْرِشَ السَّيْفِ فِي جَبْهَةِ الصَّحْرَاءِ
 إِلَى أَنْ يُجِيبَ الْعَدَمُ
 إِنِّي كُنْتُ لَكَ
 فَارِسًا،
 وَأَخًا،
 وَأَبًا،
 وَمَلِكًا!

(3)

لَا تَصَاحُ..
 وَلَوْ حَرَمْتِكَ الرُّقَادَ
 صَرَخَاتِ النَّدَامَةِ
 وَتَذَكَّرَ..
 (إِذَا لَانَ قَلْبُكَ لِلنُّسُوءِ اللَّائِسَاتِ السَّوَادِ وَالْأَطْفَالِ هِنَّ الَّذِينَ
 تُخَاصِمُهُمُ الْإِبْتِسَامَةَ)
 أَنَّ بِنْتَ أَخِيكَ «الْيَمَامَةَ»

زَهْرَةٌ تَسْرِبُ فِي سَنَوَاتِ الصَّبَا -
 بِثِيَابِ الْحِدَادِ
 كُنْتُ، إِنْ عُدْتُ:
 تَعْدُو عَلَى دَرَجِ الْقَصْرِ،
 تُمَسِكُ سَاقِي عِنْدَ نُزُولِي..
 فَأَرْفَعُهَا - وَهِيَ ضَاحِكَةٌ -
 فَوْقَ ظَهْرِ الْجَوَادِ
 هَا هِيَ الْآنَ.. صَامِتَةٌ
 حَرَمَتْهَا يَدُ الْعَدْرِ:
 مِنْ كَلِمَاتِ أَيْيَاهَا،
 إِزْتِدَاءِ الثِّيَابِ الْجَدِيدَةِ
 مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهَا -ذَاتَ يَوْمٍ- أَخٌ!
 مِنْ أَبِي يَتَبَسَّمُ فِي عُرْسِهَا..
 وَتَعُودُ إِلَيْهِ إِذَا الزَّوْجُ أَعْصَبَهَا..
 وَإِذَا زَارَهَا.. يَتَسَابَقُ أَحْفَادُهُ نَحْوَ أَحْصَانِهِ،
 لِيَتَأَلَوْا الْهَدَايَا..
 وَيَلْهُوَا بِلِحْيَتِهِ (وَهُوَ مُسْتَسْلِمٌ)
 وَيَشْدُوا الْعِمَامَةَ..
 لَا تَصَاحُ!
 فَمَا ذَنْبُ تِلْكَ الْيَمَامَةِ

لِتَرَى الْعُشَّ مُخْتَرِقًا.. فَجَاءَهُ،
وَهِيَ تَجَلُّسُ فَوْقَ الرَّمَادِ؟!!

(4)

لَا تَصَالِحُ
وَلَوْ تَوَجُّوْكَ بِتَاجِ الْإِمَارَةِ
كَيْفَ تَخْطُو عَلَى جُنَّتِهِ إِبْنِ أَبِيكَ..؟
وَكَيْفَ تَصِيرُ الْمَلِيكَ..
عَلَى أَوْجِهِ الْهَيْجَةَ الْمُسْتَعَارَةَ؟
كَيْفَ تَنْظُرُ فِي يَدِ مَنْ صَاحُوكَ..
فَلَا تُبْصِرِ الدَّمَ..
فِي كُلِّ كَفِّ؟
إِنْ سَهْمًا آتَانِي مِنَ الْخَلْفِ..
سَوْفَ يَجِيئُكَ مِنْ أَلْفِ خَلْفٍ
فَالدَّمُ -الآن- صَارَ وَسَامًا وَشَارَهُ
لَا تَصَالِحُ،
وَلَوْ تَوَجُّوْكَ بِتَاجِ الْإِمَارَةِ
إِنَّ عَرْشَكَ: سَيْفٌ
وَسَيْفُكَ: زَيْفٌ
إِذَا لَمْ تَرِنْ -بِدُؤَابَتِهِ- لِحَطَّاتِ الشَّرَفِ
وَاسْتَطَبَّتْ -التَّرْفُ

(5)

لَا تَصَاحُ

وَلَوْ قَالَ مَنْ مَالَ عِنْدَ الصِّدَامِ:

«مَا بِنَا طَاقَةٌ لِإِمْتِشَاقِ الْحَسَامِ»

عِنْدَمَا يَمْلَأُ الْحَقُّ قَلْبَكَ:

تَنْدَلِعُ النَّارُ إِنْ تَنْقَسَ

وَلِسَانُ الْحَيَاةِ يَخْرُسُ

لَا تَصَاحُ

وَلَوْ قِيلَ مَا قِيلَ مِنْ كَلِمَاتِ السَّلَامِ

كَيْفَ تَسْتَنْشِقُ الرِّثْتَانَ النَّسِيمَ الْمَدْنَسَ؟

كَيْفَ تَنْظُرُ فِي عَيْنِي إِمْرَأَةً..

أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ حِمَايَتَهَا؟

كَيْفَ تُصْبِحُ فَارِسَهَا فِي الْعَرَامِ؟

كَيْفَ تَرْجُو غَدًا.. لَوْلِيَدٍ يَنَامُ

كَيْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَتَعَمَّى بِمَسْتَقْبَلِ الْغُلَامِ

وَهُوَ يَكْبُرُ - بَيْنَ يَدَيْكَ - بِقَلْبٍ مُنْكَسٍ؟

لَا تَصَاحُ

وَلَا تَقْتَسِمَ مَعَ مَنْ قَتَلُوكَ الطَّعَامَ

وَأَزُو قَلْبِكَ بِالْدَّمِ..

وَأَزُو التُّرَابِ الْمَقْدَسِ..

وَأَزِوْ أَسْلَافَكَ الرَّاقِدِينَ..
إِلَى أَنْ تَرُدَّ عَلَيْكَ الْعِظَامُ!

(6)

لَا تَصَاحُ
وَلَوْ نَاشَدْتِكَ الْقَبِيلَةَ
بِاسْمِ حُزْنِ «الْجَلِيلَةَ»
أَنْ تَسُوقَ الدَّهَاءَ
وَتُبْدِي -لِمَنْ قَصَدُوكَ- الْقُبُولُ
سَيَقُولُونَ:
هَذَا أَنْتَ تَطْلُبُ ثَأْرًا يَطُولُ
فَخُذِ -الآنَ- مَا تَسْتَطِيعُ:
قَلِيلًا مِنَ الْحَقِّ..
فِي هَذِهِ السَّنَوَاتِ الْقَلِيلَةِ
إِنَّهُ لَيْسَ ثَأْرَكَ وَحْدَكَ،
لَكِنَّهُ ثَأْرُ جِيلٍ فَجِيلٍ
وَعَدَا..

سَوْفَ يُوَلَّدُ مَنْ يَلْبَسُ الدَّرْعَ كَامِلَةً،
يُوقِدُ النَّارَ شَامِلَةً،
يَطْلُبُ الثَّأْرَ،
يَسْتَوْلِدُ الْحَقَّ،

مِنْ أَضْلَعِ الْمُسْتَحِيلِ
لَا تَصَاحُ
وَلَوْ قِيلَ إِنَّ التَّصَاحَ حِيلَةٌ
إِنَّهُ النَّارُ
تَهْتُ شُعَلْتُهُ فِي الضُّلُوعِ..
إِذَا مَا تَوَالَتْ عَلَيْهَا الْفُصُولُ..
ثُمَّ تَبْقَى يَدُ الْعَارِ مَرْسُومَةٌ (بِأَصَابِعِهَا الْحَمْسِ)
فَوْقَ الْجِبَاهِ الدَّلِيلَةُ!

(7)

لَا تَصَاحُ، وَلَوْ حَدَّرْتِكَ التُّجُومُ
وَرَمَى لَكَ كُهَانُهَا بِاللَّبَأِ..
كُنْتُ أَعْفِرُ لَوْ أَنَّي مِتُّ..
مَا بَيْنَ خَيْطِ الصَّوَابِ وَخَيْطِ الْخَطَأِ.
لَمْ أَكُنْ غَازِيَا،
لَمْ أَكُنْ أَتَسَلَّلُ قُرْبَ مَضَارِبِهِمْ
أَوْ أَحُومُ وَرَاءَ التُّخُومِ
لَمْ أَمُدَّ يَدًا لِثِمَارِ الْكُرُومِ
أَرَضَ بُسْتَانِهِمْ لَمْ أَطَأُ
لَمْ يَصِحْ قَاتِلِي بِي: «إِنِّي!»
كَانَ يَمْشِي مَعِي..

ثُمَّ صَافَحَنِي ..
ثُمَّ سَارَ قَلِيلًا
وَلَكِنَّهُ فِي الْغُصُونِ اخْتَبَأَ!
فَجَاءَهُ:

تَقَبَّضْتَنِي فُشْعَرِيَّةً بَيْنَ ضَلْعَيْنِ ..
وَاهْتَزَّ قَلْبِي - كَفْقَاعَةً - وَانْفَتَأَ!
وَتَحَامَلْتُ، حَتَّى اخْتَمَلْتُ عَلَى سَاعِدَيْ
فَرَأَيْتُ: ابْنَ عَمِّي الرَّزِيمِ
وَاقْفًا يَتَشَفَّى بِوَجْهِ لَيْمٍ
لَمْ يَكُنْ فِي يَدِي حِرْبَةٌ
أَوْ سِلَاحٌ قَدِيمٌ،
لَمْ يَكُنْ عَيْرٌ غَيْظِي الَّذِي يَتَشَكَّى الظَّمَاً

(8)

لَا تَصَاحُ ..
إِلَى أَنْ يَعودَ الوجودُ لِدَوْرَتِهِ الدَّائِرَةِ:
الثُّجُومُ .. لِمِيقَاتِهَا
وَالطُّيُورُ .. لِأَصْوَاتِهَا
وَالرَّمَالُ .. لِذَرَائِهَا
وَالقَتِيلُ لِطُفْلَتِهِ النَّاطِرَةَ
كُلُّ شَيْءٍ تَحَطَّمُ فِي لَحْظَةٍ عَابِرَةٍ:

الصَّبَا - هَجَّةُ الْأَهْلِ - صَوْتُ الْحِصَانِ - التَّعْرُفُ بِالصَّيْفِ -
 هَمَّهُمَةُ الْقَلْبِ حِينَ يَرَى بُرْعَمًا فِي الْحَدِيقَةِ يَدْوِي - الصَّلَاةُ لِكَيْ
 يَنْزِلَ الْمَطَرُ الْمَوْسِمِيُّ - مُرَاوَعَةُ الْقَلْبِ حِينَ يَرَى طَائِرَ الْمَوْتِ
 وَهُوَ يُرْفِرُ فَوْقَ الْمُبَارَزَةِ الْكَاسِرَةِ
 كُلُّ شَيْءٍ تَحَطَّمَ فِي نَزْوَةٍ فَاجِرَةٌ
 وَالَّذِي اعْتَالَني: لَيْسَ رَبًّا..
 لِيَقْتُلَنِي بِمَشِيئَتِهِ
 لَيْسَ أَتْبَلَ مَنِّي.. لِيَقْتُلَنِي بِسِكِينَتِهِ
 لَيْسَ أَمْهَرُ مَنِّي.. لِيَقْتُلَنِي بِاسْتِدَارَتِهِ الْمَاكِرَةِ
 لَا تَصَالِحُ
 فَمَا الصُّلْحُ إِلَّا مُعَاهَدَةٌ بَيْنَ نَدَّيْنِ..
 (فِي شَرَفِ الْقَلْبِ)
 لَا تُنْتَقِضُ
 وَالَّذِي اعْتَالَني مَحْضُ لُصٍّ
 سَرَقَ الْأَرْضَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْي
 وَالصَّمْتُ يُطْلَقُ ضُحْكَتَهُ السَّاخِرَةُ!
 (9)

لَا تَصَالِحُ
 وَلَوْ وَقَفْتَ ضِدَّ سَيْفِكَ كُلُّ الشُّيُوخِ
 وَالرِّجَالِ الَّتِي مَلَأَتْهَا الشُّرُوحُ

هؤلاء الذين يُجْبُونَ طَعْمَ الثَّرِيدِ
 وَامْتِطَاءَ الْعَبِيدِ
 هؤلاء الذين تَدَلَّتْ عَمَائِمُهُمْ فَوْقَ أَعْيُنِهِمْ
 وَسُيُوفُهُمْ الْعَرِيَّةُ قَدْ نَسِيَتْ سَنَوَاتِ الشُّمُوحِ
 لَا تَصَاحُ
 فَلَيْسَ سِوَى أَنْ تُرِيدُ
 أَنْتَ فَارِسُ هَذَا الزَّمَانِ الْوَحِيدِ
 وَسِوَاكَ.. الْمُسُوخُ!

(10)

لَا تَصَاحُ
 لَا تَصَاحُ

نبی
 النشر البشفاكي العربى